

## واشنطن وحلفاؤها يواجهون طهران بإستراتيجية غير متكاملة

الميليشيات والموالون أكثر أهمية لإيران من خطتها النووية

ظاهريا، تبدو الولايات المتحدة وحلفاؤها متفوقين في المجال العسكري التقليدي في المنطقة، لكن بالعمق في التفاصيل الدقيقة لخارطة النفوذ والصراعات في الشرق الأوسط يتبين أن إيران تتمتع بقوة غير تقليدية تجعلها تتفوق على خصومها، وذلك عبر شبكة شركاء من غير الدول من يعكس قوتها وثبت نفوذها خارج حدودها. وأصبحت قيمة هذه الشبكة الإستراتيجية أكبر من قيمة قوات إيران التقليدية وصواريخها الباليستية وحتى برنامجها النووي.

لندن - خلال حملته الانتخابية كان "تمزيق الاتفاق النووي" وتجميع نفوذ إيران من أبرز وعود الرئيس الأميركي دونالد ترامب، لكن ترامب نفذ نصف الوعد، انسحب من الاتفاق النووي دون أن ينجح في تقديم أظافر إيران، التي يصنفها التقرير السنوي للخارجية الأميركية أسوأ دولة راعية للإرهاب في العالم.

تفسر عدة أسباب الموقف الأميركي، منها ما يتعلق بسياسات ترامب القائمة على الصفقات والحسابات ومنها ما يتعلق بإيران نفسها وسلحتها، حيث صارت تسويق الولايات المتحدة والدول الأوروبية وحلفاءها في الشرق الأوسط بخطوات تمكنها من التفوق. تتمثل هذه الميزة في ما أطلق عليه المعهد الدولي للدراسات الإستراتيجية اسم "الطرف الثالث"، وهم الميليشيات والجماعات المتطرفة.

يمتدح هذا الطرف الثالث إيران نفوذاً يمتد من الشرق الأوسط وحتى أفريقيا، فإلى جانب حضورها في العمق الإيراني وورثها في لبنان عبر حزب الله والحرب بالوكالة في اليمن، عن طريق الحوثيين، يمتد أفريقيا حيث تصب إيران نفسها حامية للشريعة هناك، ويبرز دورها بشكل أساسي في نيجيريا وخلال دعمها لجماعة شيعية يقودها إبراهيم الزكزاكي، الذي يطمح أن يكون "نصر الله أفريقيًا"، مثلما تلمح إلى ذلك الجماعات الموالية لإيران في العراق ولبنان، لأن تكون نسخة من حزب الله اللبناني، لها نفوذ مالي وعسكري في دولة إستراتيجية.

وتلفت الدراسة التي أعدها المعهد الدولي للدراسات الإستراتيجية (اي.آي.أس.اس)، الذي يتخذ من لندن مقراً له، إلى أن هذه الشبكات أهم من برنامج الصواريخ الباليستية والخطط النووية المفترضة وقوات إيران العسكرية التقليدية، وهي في عمقها تنفيذ لمبدأ تصدير الثورة الذي أسس له الخميني وربط به مصير الجمهورية الإسلامية.

اليوم، تسبق إيران الولايات المتحدة، التي تكفي بقرع طبول الحرب دون أن تتجاوز مرحلة التهديد، متكيفة بالعقوبات وسياساتها القديمة في تصنيف طهران على قائمة الإرهاب، وسياسة الحصار التي لم تعد تجدي نفعا حيث فتحت إيران منافذ لها من عدة جهات تضمن لها إمكانية التنفيس وإن بصعوبة.

استغلّت إيران في العقد الأخير كل الظروف التي وفرتها لها الإدارة الأميركية، منذ عهد الرئيس جورج بوش الابن الذي كان مهووسا بضرب العراق، وفتحت بوابة العراق أمام إيران في عهد باراك أوباما، الذي ركّز على توقيع الاتفاق النووي مع إيران بأي ثمن، ما جعله يتغاضى عن كل ممارسات إيران ويغض الطرف عن تحذيرات الحلفاء من أنه لا يمكن الوثوق في إيران وأن السلاح النووي ليس سوى غطاء لمشاريع أهم تستهدف تحويل بغداد وبيروت وصنعاء إلى حاميات إيرانية. وجاء دونالد ترامب واداً بنسف كل إرث أوباما، ليتبين لاحقا أنه يتبع نفس السياسة وإن بخطاب مختلف ولغة حماسية أكثر تغطي هذا العجز. نفذت الإدارة الأميركية في عهد ترامب سلسلة من العقوبات، وادرجت أسماء قياديين، وهددت على قائمة الإرهاب، وهددت عندما استهدف الحوثيون السعودية وهددت صواريخهم الملاحة البحرية الدولية، اقترح حينها ترامب تكوين تحالف عسكري بالخليج لحماية النفط

لكن كانت هناك رسالة أخرى من بين



## الكل يريد استنتاج تجربة حزب الله

الإسلام السياسي، أصبحت الأطراف الثلاثة بذلك سلاح طهران المؤثر. وتقول الدراسة إن دعم إيران للجماعات المثيرة للقلق في البحرين والسعودية والكويت يهدف في المقام الأول إلى إثارة حكومات هذه البلدان والضغط عليها، وقرض تكلفه سياسية على شركائها مع الولايات المتحدة.

## مقاومة ولكن...

توافق دراسات أخرى مع ما ذهب إليه المعهد الدولية للدراسات الإستراتيجية، حيث يرى المجلس الأوروبي للعلاقات الخارجية، أن إيران استفادت من دعم المجموعات التي تخدم أنشطتها أهدافها. وقال "لا تستطيع إيران أن تتنافس مع المملكة العربية السعودية معتمدة القدرات العسكرية التقليدية. لذلك، حاولت استخدام آليات أخرى لتأمين مصالحها وحماية نفسها من التهديدات الخارجية".

## فيلق القدس وزعيمه قاسم سليمانى يستجيبان لأوامر المرشد الأعلى، مما يجعله يتجاوز الهياكل العسكرية الأخرى التي تدعمها إيران

وتذهب في ذات السياق دراسة صادرة عن مؤسسة راند البحثية مشيرة إلى أنه ينظر إلى شركاء إيران من غير الدول على أنهم مجموعة موحدة ذات ولاء ثابت لحكومة طهران، إلا أن المجموعات تحمل اختلافات مهمة في ما بينها. ويرجع مركز ستراتفور للدراسات الأمنية الإستراتيجية أن تواصل إيران اعتماد رد يتحدى توسيع نطاق العقوبات الأميركية. توفر الأسابيع الستة المقبلة العديد من الفرص لإيران، إذ تستطيع شن هجمات ضد المملكة العربية السعودية وحلفاء الولايات المتحدة الآخرين في الشرق الأوسط.

ويخلص الخبراء إلى أن تغيير إيران لمسارها غير مرجح مع تواجد ترامب في البيت الأبيض، وستواصل اغتنام الفرص لتوسيع إستراتيجياتها القائمة على الأطراف الثالثة، مشيرين إلى أن إيران تتمتع بالمرونة الكافية لمقاومة موجة الاحتجاجات المناهضة لنفوذها في البلدان المجاورة لها، لكنها تواجه صعوبات لأن نفوذها يعتمد على مجموعات لا تريد أن تحكم مباشرة مثل حزب الله في لبنان، ومجموعات غير قادرة على افتكاح الحكم مثل ميليشياتها في العراق.

سوريا بمقاتلين من الشيعة الأفغان ومن باكستان وغيرها. وتصف دراسة إيران بالانتهازية، مشيرة إلى أنها لم تفوت أي فرصة وجدت في طريقها. فعند المشاركة في نزاع ما، تصمم أسلوب تدخلها بطريقة تتجنب التصعيد المباشر الذي قد يعرض نظامها للخطر. وخلقت إمكانية إنكار تورطها في الأوضاع الخارجية رغم أنها تتمتع بمنصة دائمة تمكنها من التأثير.

وتمكنت شبكة إقليمية من الشركاء إيران من إظهار نفوذها داخل عمق الدول الأخرى بتكلفة منخفضة، وذلك بتكديسها من اختراق مؤسسات الدولة في بعض البلدان مثل العراق، أو بتصويرها من خلال ممثلين أقوياء مثل حزب الله اللبناني، وأيضا من خلال مساعي إشراك الحوثيين في المفاوضات ما يعطيهم شرعية.

وتختلف كتبتكات إيران من بلد إلى آخر. ففي العراق، توظف طهران المتمردين لمهاجمة الجيش الأميركي، الذي فتح المجال للحشد الشعبي، المكون من ميليشيات موالية لإيران، من خلال إشراكها في الحرب ضد تنظيم الدولة الإسلامية. وفي سوريا، عزز قاسم سليمانى الجيش السوري لمحاربة المتمردين متعددي الجنسيات الذين تدعمهم الولايات المتحدة.

وفي لبنان، تطورت علاقة حزب الله بطهران، إذ جعلت الصواريخ الإيرانية والأسلحة المضادة للدبابات والصواريخ والسفن الفرفر من جنود الاحتياط المنحويين لحزب الله من المجموعة اللبنانية قوة في حد ذاتها. ويبدو حزب الله جهة فاعلة مستقلة قادرة على عكس قوتها في المسارح العسكرية المعقدة كجزء من تحالف مع جهات فاعلة تابعة للدولة أو إلى جانب الميليشيات المحلية. وبرز هذا الوجه من خلال مشاركة المجموعة في الحرب الأهلية السورية.

بلغت المعهد إلى أن هذه الشبكة نجحت في التمدد لأنه لم يكن هناك أي رد فعل دولي واضح ومباشر وفعال في ردعها وهي في واقعها. ومع مرور الوقت وانشغال المجتمع الدولي من جهة بالاتفاق النووي ومن جهة أخرى بالحرب ضد داعش وبتعمد قوى

والإستراتيجية التي تتبعه إيران، التي لا تتوقع عائداً مالياً من شركائها بل تمويلهم ليخدموا مصالحها عن بعد.

وقال علم الهدى إن إيران لم تعد مقيدة بالحدود الجغرافية، بل أصبحت موجودة في قوات الحشد الشعبي في العراق وحزب الله اللبناني وأنصار الله في اليمن (الحوثيون) وحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين وحماس. أصبحت كل هذه القوات تمثل إيران، مما حررها من حدودها. وأعلن حسن نصرالله، الذي يشغل منصب أمين عام حزب الله اللبناني، أن المقاومة تتبع زعيما واحدا وهو المرشد الأعلى للثورة الإسلامية في إيران.

## تجربة الحرب الإيرانية

استفادت إيران من تجربتها في الحرب العراقية الإيرانية من جهة، ومن جهة أخرى من تجربتها مع الأيديولوجيات الثورية، التي تطورت مع صعود الجمهورية الإسلامية وشعار "الموت لأميركا"، والترؤيب لمحور المقاومة عززت إيران علاقاتها مع هذه الجماعات في التسعينات من خلال دعمها بالأسلحة والأموال والتدريب التي يستحقها المقاتلون التابعون لها. أيضا لعبت إيران على وتر المظلومية الشيعية.

وبعد وصوله إلى السلطة في أعقاب الثورة الإسلامية التي نشبت سنة 1979، بدأ الخميني في بناء شبكة غير حكومية تابعة للنظام. وفي سياسته الخارجية توجه إلى "الشعوب المضطهدة" في العالم ودعاها إلى الإتحاد، وحرّض الشيعة في المنطقة على الانتفاض ضد الحكام المدعومين من الغرب، وقاد نظامه للعمل مع الجماعات الشيعية في كل من لبنان والعراق. وطورت طهران القدرة على حشد المجندين ونقلهم عبر مسارح الصراعات. وفتحت انتفاضات الربيع العربي الصدود أمام طهران لتغرق دولا مثل

شهدتها عدة دول، بالتزامن مع سير في مفاوضات الاتفاق النووي، انتقلت إلى مستوى متقدم من العمل العسكري المباشر.

أنيطت مهمة هذه المرحلة إلى فيلق القدس التابع للحرس الثوري الإيراني، الذي يقوده قاسم سليمانى. وأصبحت هذه القوة ممثلا إقليميا قويا تكيفت إستراتيجياته مع ظروف الصراع المعاصر.

يعتقد وزير الخارجية البريطاني الأسبق جاك ستررو (تولى المنصب من 2001 إلى 2006)، الذي زار إيران عدة مرات، أن دور سليمانى يتعدى مهام القائد العسكري العادي، وقال إنه كان يدير سياسته الخارجية في المنطقة من خلال تحالفات مدعومة بالقوة.

ويستجيب فيلق القدس وزعيمه قاسم سليمانى لأوامر المرشد الأعلى مباشرة، مما يجعله يتجاوز الهياكل العسكرية التقليدية الأخرى التي تدعمها إيران ليصبح كيانا مستقلا وأقوى.

ومن خلال الاستثمار في فيلق القدس خارج حدودها الإقليمية وعبر تجنيد عدد من الميليشيات المختلفة التي تجمع حوالي 200 ألف مقاتل. كما استغلّت "مناطق الصراعات الرمادية" لتشن عملياتها العدائية دون إعلان الحرب المباشرة على الدول الأخرى. فأيران تقاتل في الحروب الداخلية في بعض البلدان وتربّحها دون أن تضطر إلى خوض حرب. وتتجنب طهران هذه الصراعات لأنها تعرف قوة خصوصها في المجال العسكري التقليدي. لذلك، تختار البلاد نهج الحرب غير المتكافئة من خلال حلفائها من غير الدول.

ويرى معدو دراسة المعهد الدولي للدراسات الإستراتيجية في الخطاب الذي القاه ممثل المرشد الأعلى للثورة الإسلامية في محافظة خراسان رضوي، أحمد علم الهدى، بعد الهجوم على معمل بقيق للنفط السعودي في سبتمبر 2019، تجسيدا للتفكير الأيديولوجي

## حزب الله: الشريك الصغير

يوثق حزب الله طرق الإمداد الإيراني التي تصل لبنان عبر سوريا والعراق. وصنفت دراسة المعهد الدولي للدراسات الإستراتيجية حزب الله كطرف «أقرب إلى شريك

صغير من وكيل»، وقالت إن الحزب أصبح محورا مركزيا لمجموعة

من الميليشيات العربية والأحزاب السياسية التي تربطها

علاقات بإيران، لافتة إلى أن حزب الله «حقوق مكانة

فريدة بين شركاء إيران» كحزب سياسي

وميليشيا مسلحة تابعة لفيلق القدس الذي

يقوده قاسم سليمانى

